البيئة وحمايتها: دراسة في فقه أحكام الحفاظ على البيئة عند الشيعة الأمامية

أ.م.د عدنان عباس البطاط
كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام ميسان
Dr.adnanalbattat@iku.edu.iq

المستخلص:

تُعتبر البيئة وحمايتها من القضايا المهمة جدًا في الشريعة الإسلامية؛ حيث تُعَدُّ البيئة هدية من الله تعالى وحقًا مشتركًا لكافة البشر. تعتمد الشريعة الإسلامية على تحديد حقوق البيئة وواجبات الإنسان تجاهها، وتضع إطاراً قانونياً يكفل حفظ البيئة وحمايتها. لذا، يُسلَّط هذا البحث الضوء على أهمية البيئة في الشريعة الإسلامية بشكل تحليلي ومفصل، مبرزا دور فقه الشيعة الإمامية في تحديد مسؤليات الإنسان في حفظ هذه الهبة الربانية.
الكلمات المفتاحية : البيئة ، حماية ، حفاظ ، شريعة ، شيعة ، امامية .

Environment and its Protection: A Study in the Jurisprudence of the Provisions of Environmental Preservation among the Imami Shiites

Assistant Professor Adnan Abbas Al-Batat
Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences University / Maysan Departments
Dr.adnanalbattat@iku.edu.iq

Abstract:

The environment and its protection are regarded as crucial matters in Islamic law, as it is considered a gift from Allah and a shared right for all humanity. Islamic law emphasizes defining the rights of the environment and the corresponding duties of humans toward it, providing a legal framework to ensure its preservation and protection. This research, therefore, analyzes and elaborates on the significance of the environment in Islamic law, with a particular focus on the role of Imami Shia jurisprudence in outlining human responsibilities for safeguarding this divine gift.

أهمية البيئة وحمايتها في الشريعة الإسلامية

يولي الفقه الإسلامي اهتماما كبيرا بقضايا البيئة، حيث يرى أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، ومن ثم يتوجب عليه الحفاظ على هذه البيئة وعدم الإفساد فيها. تُعد حماية البيئة أحد الموضوعات الرئيسة في الفقه الإسلامي، ويتضح ذلك من خلال النصوص الشرعية وآراء الفقهاء التي أكدت على ضرورة صون البيئة من التلوث والتدمير. ينظر الفقه الإسلامي للبيئة كنعمة من الله تعالى يجب على المسلمين الحفاظ عليها والعمل على تحسينها والمساهمة في الحفاظ على توازنها البيولوجي والبيئي. يشمل ذلك المحافظة على الموارد الطبيعية، وضمان استخدامها المستدام، وتقليل التلوث والتأثيرات البيئية السلبية الأخرى. تُعتبر البيئة في الفقه الإسلامي مسؤولية جماعية تتطلب تعاونا من المجتمع الإسلامي بأسره لحمايتها وتطويرها لصالح الأجيال القادمة. ويُعد الاهتمام بالبيئة تجسيدا عمليا لمفهوم الخلافة الإسلامية والمسؤولية الاجتماعية والحفاظ على نعم الله. قال تعالى: "**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**"[1]، وقال أيضا: "**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**"[2] وقال النبي محمد صل الله عليه وآله:"**الناس شركاء في ثلاثة النار والماء والكلاء**"[3] وجاء في الكتاب المجيد " **ام نجعل اللذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض**"[4].

المبحث الاول: التنمية المستدامة والبيئة

يُعنى مفهوم التنمية المستدامة بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بطريقة تحافظ على استدامة البيئة وتحمي الموارد الطبيعية للأجيال الحالية والمستقبلية. وتتطلب العلاقة بين التنمية المستدامة والبيئة إدراك تأثير النشاط البشري على البيئة والموارد الطبيعية وضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من التلوث والاستنزاف [5]. ويعد الفقه الإمامي مصدراً هاماً لتحديد الأحكام المتعلقة بتوجيهات وضوابط استخدام الموارد الطبيعية وتحقيق التنمية المستدامة بما يتوافق مع القيم والمبادئ الإسلامية.

مفهوم البيئة :

مفهوم البيئة يشير إلى جميع العناصر والظروف المحيطة بالكائنات الحية التي تؤثر في حياتها، سواء كانت هذه العناصر طبيعية أو بشرية. تشمل البيئة العوامل الطبيعية مثل الهواء، والماء، والتربة، والمناخ، والمحيطات، كما تشمل الكائنات الحية الأخرى مثل النباتات والحيوانات. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تشمل البيئة العوامل البشرية التي تشمل النشاطات البشرية من صناعات، مدن، طرق، وتقنيات التي تؤثر على النظام البيئي[6] .

البيئة تُعد محورية في فهم العلاقات بين الكائنات الحية (بما في ذلك الإنسان) ومواردها الطبيعية. ولذلك، يشمل مفهوم البيئة جميع الأنظمة البيئية التي تُنتج وتُحافظ على الحياة، مثل الغابات، والبحار، والمحيطات، والأنهار، فضلاً عن النظام البيئي الحضري الذي يواجه البشر.

عناصر البيئة:

1. 1.المكونات الطبيعية:

الهواء: يشمل الغازات التي تدعم الحياة مثل الأوكسجين والنيتروجين.

الماء: يعتبر أساس الحياة لجميع الكائنات الحية ويشمل البحيرات، الأنهار، المحيطات، والمياه الجوفية.

التربة: تحتوي على المغذيات التي تدعم النباتات، مما يؤثر على الغذاء والمياه.

المناخ: يشمل العوامل الجوية مثل الحرارة، الأمطار، والرطوبة التي تؤثر في الحياة النباتية والحيوانية.

الطاقة الشمسية: تؤثر بشكل كبير في تنظيم المناخ والأنماط البيئية [7].

2. المكونات البيولوجية:

تشمل جميع الكائنات الحية مثل الحيوانات، النباتات، والكائنات الدقيقة، التي تساهم في توازن النظم البيئية[8].

3. المكونات البشرية:

الأنشطة البشرية مثل البناء، الصناعة، الزراعة، والنقل، التي تؤثر بشكل مباشر على البيئة من خلال التلوث، الاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية، أو فقدان التنوع البيولوجي[9].

مفهوم التنمية المستدامة وعلاقتها بالبيئة

مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة هي عملية التطوير التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتهم الخاصة. يركز هذا المفهوم على تحقيق التوازن بين ثلاثة أبعاد رئيسة: التنمية الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، والحفاظ على البيئة. ويُعتبر هذا النموذج أكثر استدامة لأنه يضمن تحسين نوعية الحياة للأفراد والمجتمعات مع حماية الموارد الطبيعية والبيئة التي يعتمد عليها الجميع.

العلاقة بين التنمية المستدامة والبيئة:

تتمثل العلاقة بين التنمية المستدامة والبيئة في ضرورة الحفاظ على البيئة كجزء أساس من استدامة التنمية. فالتنمية المستدامة تتطلب أن يتم تطوير الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية بطرق لا تؤدي إلى تدهور البيئة أو استنفاد الموارد الطبيعية. يشمل هذا تقليل الانبعاثات الضارة، وحماية التنوع البيولوجي، واستخدام الموارد الطبيعية بشكل أكثر كفاءة لتقليل الأثر البيئي[10].

النقاط الرئيسة التي توضح هذه العلاقة:

1. حماية الموارد الطبيعية: يجب أن يتم استخدام الموارد الطبيعية بطرق غير مدمرة وبشكل يُعيد تدويرها أو يُحسن استخدامها. وهذا يشمل تحسين كفاءة الطاقة والمياه، والحفاظ على التربة، والحد من استخدام المواد الكيميائية الضارة في الزراعة والصناعة.

2. الحد من التلوث: من خلال التنمية المستدامة، يتم التركيز على تقليل انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري، والحد من تلوث الهواء والماء، وذلك عبر تطبيق تكنولوجيات نظيفة في الصناعة والنقل[11].

3. التنوع البيولوجي: جزء من التنمية المستدامة يتضمن حماية التنوع البيولوجي من خلال إنشاء محميات طبيعية، ومنع تدمير المواطن البيئية، وضمان استدامة الأنواع النباتية والحيوانية.

4. الاقتصاد الأخضر: يشمل الاقتصاد الأخضر استخدام النمو الاقتصادي كأداة لتحسين الحالة البيئية، من خلال دعم الصناعات الصديقة للبيئة مثل الطاقات المتجددة، والممارسات الزراعية المستدامة، والنقل النظيف[12].

المبحث الثاني: الأسس الشرعية لحفظ البيئة

حفظ البيئة يعتبر جزءًا أساساً من الواجبات التي ينبغي على المسلم القيام بها تجاه العالم المادي، بما في ذلك الأرض ومكوناتها الطبيعية. وقد عالج الفقهاء هذا الموضوع في إطار القيم الإسلامية العامة التي تدعو إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث. ومن ثم، يمكن تلخيص الأسس الشرعية لحفظ البيئة عند الفقهاء من خلال مجموعة من المبادئ القرآنية والنبوية التي يتم تطبيقها على البيئة.

1- الإنسان خليفة الله في الأرض. وهذا يعني أن على الإنسان أن يتعامل مع الأرض وكل مكوناتها بحذر ورعاية وأن يعمل على الحفاظ على توازنها. في القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى:"**إني جاعل في الأرض خليفة**"[13]، و"**يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض**"[14]. وفي تفسير النور يُفسر الكلمة "**جاعل**" بأن الإنسان هو الخليفة الدائم على الأرض وأنه يجب عليه أن يتصف بالعدل وألا يفسد في الأرض"[15].

2- عدم التسبب في التلوث او تدمير الموارد الطبيعية يُعتبر محرماً وفقاً للفقه الإسلامي. حيث يتضمن هذا الشرط الحفاظ على البيئة وعدم تعريضها لأي أذى. كما جاء في تفسير قوله تعالى:"**لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**" [16] في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي (ت 1981) اوضح مفهوم عدم الإفساد الذي يضرب به مثالاً على المحافظة على النظام البيئي الذي خلقه الله[17].

3- التوازن والوسطية: تولي الشريعة الإسلامية اهتمامًا كبيرًا بضرورة الوسطية في استخدام الموارد الطبيعية وتجنب الإفراط في استهلاكها. فالفقه يؤكد على أن استفادة الإنسان من الموارد يجب أن تكون متوازنة ومُعتدلة، وقد ذُكر في القرآن الكريم قول الله: "**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**"[18]، وقوله في سورة الأنعام "**كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**"[19] . وقام الشيخ مكارم الشيرازي بتوضيح أن كلمة "**الإسراف**" تشمل كل تجاوز في الكم والكيف وكذلك الأعمال المتهورة والتدمير وما شابه ذلك. وهذا هو الأسلوب الخاص للقرآن الكريم، فعندما يحث على استخدام نعم الحياة والطبيعة، يحذر فورًا من سوء الاستخدام ويوصي بالحفاظ على التوازن[20].

4- حماية الكائنات الحية: يعتبر الفقه حقوق الحيوانات والنباتات جزءًا لا يتجزأ من النظام البيئي، ويجب المحافظة عليه، لأنها مخلوقات تحتاج إلى الرعاية والاحترام وعدم التسبب في إيذائها. وفي هذا السياق، قال رسول الله صل الله عليه وآله " **ما من دابة يقتل بغير حق الا ستخاصمه يوم القيامة**"[21] قال الإمام علي عليه السلام: "**من لا يرحم لا يرحم**"، مما يؤكد على أهمية معاملة الإنسان برفق تجاه الكائنات الحية التي تشكل جزءًا من البيئة المحيطة.

5- تجريم التلوث وتدمير البيئة: يعتبر الفقه كل ضرر يلحق بالبيئة من خلال التلوث أو التدمير جريمة يجب تجنبها، ويرجع ذلك إلى القاعدة الفقهية "**لا ضرر ولا ضرار**"[22] التي وردت في الحديث الشريف [23]. ويعتبر الإضرار بالبيئة من مصاديق القاعدة التي توجب على الإنسان تجنبها.

6- الحق في البيئة النظيفة: من الناحية التحليلة، يعتبر الفقه أن لكل فرد الحق في العيش في بيئة نظيفة وصحية، ويشمل ذلك الهواء والماء النقي والبيئة خالية من التلوث. وبناءً على ذلك، يرون الفقهاء أن المسؤولية تجاه البيئة تشمل الجميع في المجتمع، ولا يقتصر على الأفراد فحسب، بل يتجاوز إلى الحكومات التي يجب أن تضع السياسات الضرورية لحماية البيئة. وفي هذا السياق،قوله تعالى"**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**"[24] وقوله : "**هو الذي سخر البحر لتاكلوا منه ...**" [25] وهو الذي امر بعدم الافساد كما ورد في آيات عدة منها قوله سبحانه وتعالى" **وإذ قيل لهم لا تفسدوا في الأرض**"[26].

7- الحفاظ على الموارد الطبيعية وحماية الزراعة: الفقه يشدد على ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية مثل المياه والأرض الزراعية والغابات. ويعتبر الفقهاء أن الإنسان يجب عليه أن يحافظ على هذه الموارد ويستفيد منها دون أن يتسبب في فقدانها. توجد العديد من الأحاديث والوصايا التي تشجع على الزراعة وحماية الأراضي الزراعية، ويعد هذا من الاهتمامات البيئية في الفقه. كما أن الإمام علي عليه السلام كان يشدد على الحفاظ على الموارد الطبيعية من الإسراف، ورد في رسالته إلى مالك الأشتر في نهج البلاغة:"**وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج** "[27] وهذا يدل على رفض الإضرار بالمكونات الطبيعية التي تشكل جزءًا من البيئة. وفي كتاب الكافي للشيخ الكليني (ت 941)،هناك اخبار وروايات تشير إلى أهمية العناية بالأراضي الزراعية باعتبارها مصدرًا أساسيًا للغذاء[28].

المبحث الثالث: التشريعات البيئية في الفقه

يتضمن الفقه العديد من التشريعات البيئية التي تسعى إلى صون البيئة والموارد الطبيعية. تشمل هذه التشريعات قوانين وأحكاماً شرعية تتناول القضايا المرتبطة بحماية الكوكب والحيوانات والنباتات والمصادر المائية والهواء وغير ذلك من جوانب البيئة. يتم تطبيقها لضمان حماية البيئة والتنمية المستدامة.

الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالبيئة

تبحث الشرعية الاسلامية في عدة مواضيع تخص البيئة، من بينها حماية التوازن البيئي والمحافظة على التنوع البيولوجي وصيانة الموارد الطبيعية والحد من التلوث، بالإضافة إلى الحفاظ على نقاء المياه والهواء. تتوجه هذه الأحكام إلى توجيه الأفراد والمجتمعات نحو الحفاظ على البيئة والمساهمة في تحسين الوضع البيئي بما يتماشى مع القيم والمبادئ الإسلامية في حماية البيئة والموارد الطبيعية.

في الفقه ، تُعتبر القضايا البيئية جزءًا من الشريعة الإسلامية، حيث تتضمن نصوصًا تشريعية تؤسس لاحكام مرتبطة بحماية البيئة واستخدام الموارد الطبيعية بشكل مسؤول. وحيث ان الفقه يعتمد على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأحاديث الأئمة المعصومين، بالإضافة إلى اجتهادات الفقهاء حول القضايا المعاصرة المتعلقة بالبيئة. نجد ان الفقه أولى مسائل اهتماما بالغ منها التي تناولت البيئة وحمايتها:

1. حماية المياه:

هناك تأكيد في الفقه على ضرورة حماية مصادر المياه من التلوث أو التبذير.

في هذا الاطار تحدث الكتاب المجيد عن الماءفاشار الى انه مهم في التنمية المستدامة "**الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة**"[29]، وكذلك قال:"**انا صببنا الماء صبا×ثم شققنا الأرض شقا×فانبتنا فيها حبا×وعنبا وقضبا×وزيتونا ونخلا×وحدائق غلبا×وفاكهة وابا×متاعا لكم ولانعامكم**"[30] فالعلاقة واضحة بين الماء والاستدامة والبيئة،من هنا شدد الفقه على الحفظ على الماء والاقتصاد به وعدم الاسراف فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام :"**ادنى الاسراف هراقة فضل الاناء**"[31]، كذلك وجوب المحافظة على نظافته ونقائه كمنع القاء الاقذار الإنسانية المسبب للتلوث، فقد نهى الامام زين العابدين عن"**انه يمنع التغوط على شطوط الأنهار**"[32] كما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام"**لايبولن في الماء الجاري**"[33]

وفقًا للأحاديث التي وردت ، يُعتبر من غير الجائز تلويث المياه أو استخدامها بطريقة تضر بالآخرين.

وهذا هو مفاد القاعدة الفقهية "لا ضرر ولا ضرار"، وهو يشمل التأكيد على عدم تلويث المياه أو إلحاق الضرر بالمصادر المائية[34].

2. الحث على عدم الإسراف في الموارد الطبيعية:

تحظر الشريعة الإسراف في استخدام الموارد الطبيعية، سواء كانت المياه أو الوقود أو الغذاء. وقد ورد في القرآن الكريم تحذير من الإسراف في الآية الكريمة:"إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا"[35].

بناءً على هذه الآية، يشدد الفقهاء على ضرورة استخدام الموارد بشكل معتدل وعدم التبذير. الفقه يرى أن التصرفات المفرطة التي تؤدي إلى استنزاف البيئة أو إتلاف الموارد الطبيعية يُعتبر من المحرمات[36] وقد يوجب الحجر للسفه.

3. حماية الحيوانات:

يُعتبر قتل الحيوانات بدون مبرر شرعي أو إهدارها من الأمور المحرمة في الفقه، هناك تأكيد على ضرورة احترام حقوق الحيوانات، وعدم تعذيبها أو إساءة معاملتها او صيدها لغرض اللهو.

الحديث: عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: "**من قتل عصفورًا عبثًا، عذب يوم القيامة**"[37]. وهذا يدل على أن إيذاء الحيوانات دون حاجة يُعد محرمًا[38] نهى النبي محمد صل الله عليه وآله" **انه نهى عن قتل كل ذي روح الا ان يؤذي**"[39] " **مامن دابة يقتل بغير الحق الا ستخاصمه يوم القيامة**".

4. الإضرار بالأشجار والنباتات:

تؤكد الشريعة على الحفاظ على الأشجار والنباتات وعدم إتلافها دون مبرر. ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: "من قطع شجرة في غير حق، فقد اعتدى على حق الله"،وورد عن النبي صل الله عليه آله:"اخرج يا علي فقل عن الله عن الرسول:لعن الله من يقطع السدر" وعن ابي عبد الله انه قال:"لا تقطعوا الثمار(الأشجار المثمرة)فيصب الله عليكم العذاب صبا"

من هنا يعد الحفاظ على النباتات، التي تُعتبر من نعم الله، من أسمى القيم البيئية في الفقه والشريعة الإسلامية[40].

5. الاعتداء على الأرض (الفساد في الأرض):

تُعتبر ممارسات الفساد في الأرض مثل قطع الأشجار أو تلويث المياه أو تدمير البيئة من الأفعال المحرمة في الفقه، في القرآن الكريم ورد تحذير في الآية:

"**إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**"[41]، حيث يدعو الله إلى الحفاظ على الأرض واستخدامها بالطريقة التي تضمن استدامتها[42].

6. الاعتناء بالتوازن البيئي:

يرى الفقه أن من واجب المسلمين الحفاظ على التوازن البيئي وعدم العبث بالموارد الطبيعية. هناك تأكيد على أن كل مخلوق له دور في النظام البيئي، ويجب عدم إخلال هذا النظام.

الحديث: ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): "**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**"[43]، وهو حديث يدل على أهمية الحفاظ على جميع مكونات البيئة.

7. تنظيم استهلاك الطاقة:

الفقه يعارض الإفراط في استخدام مصادر الطاقة الطبيعية (مثل الوقود). في حال استخدام الوقود في الأنشطة الصناعية أو غيرها، ينبغي أن يكون ذلك مع مراعاة الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية.

من خلال فتاوى الفقهاء، يتم التأكيد على ضرورة الحفاظ على الطاقة وتجنب التلوث الناتج عن الإفراط في استخدامها[44].

8. التخطيط الحضري والبيئي:

تشير فتاوى الفقهاء الى أهمية التخطيط الحضري الذي يراعي البيئة ويتجنب تدميرها. من هذه الفتاوى نجد أنه يجب بناء المدن بطريقة تضمن التوازن بين الحياة البشرية وحماية البيئة.

في الفقه ، يُعتبر التنظيم البيئي جزءًا من "الولاية" الشرعية التي يجب أن يراعيها الحكام في إدارة شؤون الأمة[45].

9. التوجهات الفقهية المعاصرة:

في العصر الحديث، بدأ العديد من الفقهاء المعاصرين مثل آية الله علي السيستاني وآية الله خامنئي بتطوير فتاوى تتعلق بالقضايا البيئية مثل التلوث واستخدام الطاقة المتجددة كطاقة الرياح وطاقة الشمس. وتعتبر هذه الفتاوى جزءا من الجهود البيئية لتقليل الاعتماد على الوقود الاحفوري والحد من التلوث.

حيث يعتبر استخدام الطاقة النظيفة جزءا من الواجب الشرعي لحماية البيئة من التلوث ومن التغيرات المناخية[46].

المسؤولية البيئية في الفقه

المسؤلية الفقيه والبيئية اصطلاح يشير الى الاتزامات والسلوكيات المحدد التي تترتب على الافراد او المؤسسات تجاه الاخرين او المجتمع او البيئة ، وفقا لانظمة معينة.

فالمسؤلية الفقية هي الالتزام الذي يحدده الشرع (القواعد الشرعية) تجاه الله والاخرين. تشمل تصرفات الانسان وفق الشريعة الإسلامية .

اما المسؤولية البيئية : فهي تشير الى الالتزام بحماية البيئة والحفاظ عليها للأجيال القادمة .

تفرض على الافراد والمؤسسات تقليل الأثر السلبي على البئة مثل تقليل التلوث واستخدام الموارد بشكل مستدام.

وهي تُعتبر من القضايا المحورية التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية، حيث وضعت قواعد وضوابط لحماية البيئة ورعايتها. تركز هذه المسؤولية على مفهوم الخلافة والتمويل الحكومي لصالح البيئة وصيانتها. وتشمل كذلك الحفاظ على الموارد الطبيعية، وتنظيم الزراعة والصيد، وتعزيز التنمية المستدامة. وفقاً للفقه ، لكل عنصر في البيئة حقوق وواجبات، وهذا لتعزيز مفهوم المسؤولية البيئية الشرعية.

نعم، في الفقه، توجد أحكام تُحرم الاعتداء على البيئة وتعتبره تعديًا على النظام الطبيعي الذي خلقه الله تعالى. هذا يشمل الاعتداء على الموارد الطبيعية مثل المياه، التربة، الهواء، الكائنات الحية (كالنباتات والحيوانات)، وأي ضرر يلحق بالبيئة بشكل عام. هذه الأحكام تعتمد على مبادئ الشريعة الإسلامية التي تُحفِّز على الحفاظ على البيئة وحمايتها. يمكن تلخيص هذه الأحكام على النحو التالي:

1. تحريم الإفساد في الأرض:

يُعتبر الإفساد في الأرض من الأمور المحرمة في الفقه الشيعة الإمامية. يشمل ذلك أي فعل يؤدي إلى تدمير أو تلويث البيئة. في القرآن الكريم، ورد تحذير من الإفساد في الأرض:الآية الكريمة: "**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض** "[47].

التوجيه الفقهي: بناءً على هذه الآية والأحاديث الشريفة، الفقه الإمامي يُحرّم الاعتداء على الموارد الطبيعية التي خلقها الله، مثل المياه والأراضي الزراعية[48].

2. تحريم التلوث البيئي:

أي تصرف يؤدي إلى تلويث البيئة أو الموارد الطبيعية يعتبر محرمًا في الفقه الشيعي الإمامي. وهذا يشمل التلوث الناتج عن الأنشطة الصناعية أو الزراعية، مثل تصريف المواد الكيميائية في المياه أو الهواء.

الحديث: ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في بعض رواياته: "**من أفسد ماءً فليس له في شرع الله الحق في استخدامه**"[49]. هذا الحديث وما تقدم يُعد دليلاً على تحريمه لتلوث المياه.

3. تحريم الاعتداء على الحيوانات:

في الفقه الشيعي الإمامي، تحرم الشريعة الاعتداء على الحيوانات سواء بالقتل أو التعذيب بدون مبرر شرعي. وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): "**من قتل عصفورًا عبثًا، عذب يوم القيامة**"[50]. هذا يدل على أن الاعتداء على الحيوانات يُعتبر محرمًا.

التوجيه الفقهي: يُعتبر سوء المعاملة أو قتل الحيوانات دون ضرورة محرمًا، ويشمل ذلك جميع الكائنات الحية التي تتأثر بالأنشطة البشرية[51].

4. تحريم تدمير الأشجار والنباتات:

في الفقه الشيعي الإمامي، يُحرّم قطع الأشجار والنباتات بدون حاجة مشروعة. وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: "**من قطع شجرة في غير حق، فقد اعتدى على حق الله**"[52].

التوجيه الفقهي: الفقهاء يحرمون تدمير البيئة النباتية ويشددون على ضرورة الحفاظ على الأشجار والنباتات.

5. تحريم الإسراف والتبذير في استخدام الموارد: يُحرم الإسراف في استخدام الموارد الطبيعية مثل الماء والطاقة. في القرآن الكريم، يقول الله تعالى:"**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**"[53].

التوجيه الفقهي: استنادًا إلى هذا التحذير، يحرّم الفقه الإمامي التبذير في استخدام الموارد الطبيعية التي خلقها الله، ويجب أن يتم استخدامها بحذر واعتدال[54].

6. تحريم الفساد البيئي الناتج عن الأنشطة الصناعية:

يُحرّم الفقه الشيعي الإمامي كل شكل من أشكال التلوث البيئي الناتج عن الأنشطة الصناعية التي تؤدي إلى الإضرار بالصحة العامة أو تدمير البيئة. يشمل ذلك التلوث الناتج عن التصريفات الكيميائية أو الصناعية التي تلوث المياه أو الهواء.

التوجيه الفقهي: بناءً على فتاوى الفقهاء، يُعتبر أي نشاط صناعي يؤدي إلى الإضرار بالصحة العامة أو البيئة من الأمور المحرمة التي يجب تجنبها[55].

7. الاعتداء على التوازن البيئي:

في الفقه الشيعي الإمامي، الحفاظ على التوازن البيئي يُعد جزءًا من المسؤولية الشرعية. أي فعل يؤدي إلى الإخلال بالتوازن البيئي، مثل استنزاف الموارد الطبيعية أو تدمير النظم البيئية، يُعتبر محرمًا.

التوجيه الفقهي: يُحرم أي عمل يؤدي إلى الإضرار بالتوازن الطبيعي للنظام البيئي ويجب الحفاظ على التوازن بين الإنسان والبيئة[56].

8. إعادة التأهيل البيئي وحمايته:

في الفقه الشيعي الإمامي، هناك دعوة للحفاظ على البيئة من خلال الأنشطة التي تساهم في إعادة تأهيلها. على سبيل المثال، إعادة زراعة الأشجار أو حماية المناطق الطبيعية تعتبر من الأعمال المستحبة بل والواجبة في بعض الحالات.

التوجيه الفقهي: يجب على المسلم أن يساهم في حماية البيئة من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية وإعادة تأهيلها إن تعرضت للتدمير[57].

المطلب الثاني:حقوق البيئة والواجبات اتجاهها

تشكل حقوق البيئة والواجبات تجاهها محوراً أساسياً في الفقه الإمامي الشيعي، حيث يعكس التزامات المجتمع والأفراد نحو البيئة. تشمل حقوق البيئة حقها في الحياة والتطور الطبيعي وحمايتها من التلوث والحفاظ على التنوع البيولوجي. أما الواجبات تجاهها فتنحصر في العناية بالبيئة والحفاظ عليها وعدم تبذير الموارد، بجانب الإسهام في حمايتها وتحقيق التوازن البيئي. يأتي هذا التكريس لحقوق البيئة وواجباتها في إطار الرعاية الشرعية والمسؤولية الجماعية تحقوق البيئة وواجبات الإنسان تجاهها في القرآن والمصادر الروائية والفقهية الشيعية

أولاً: حقوق البيئة في القرآن الكريم

القرآن الكريم تناول البيئة ومكوناتها بشكل شامل، وأبرز حقها في الاستدامة والاستخدام الرشيد. ومن الآيات التي تشير إلى حقوق البيئة:

1. حقها في التكريم والرعاية: يقول الله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ**﴾[58] ، مما يدل على أن الأرض حق مشترك للبشرية وللكائنات الأخرى، ويجب الحفاظ عليها.

2. حقها في التوازن وعدم الإفساد: جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[59]، وهو توجيه بعدم الإضرار بالبيئة التي خلقها الله بتوازن دقيق.

3. حقها في الاستخدام المستدام: في قوله: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[60] ، يشير إلى أن الاستخلاف في الأرض يتطلب التنمية المستدامة والابتعاد عن التدمير.

ثانياً: رؤية المصادر والكتب الفقهية حول البيئة

تتناول قضايا البيئة في سياق الفقه والتشريع الإسلامي:

1. الإمام علي (ع) وتوجيهاته: في نهج البلاغة، دعا الإمام علي إلى الحفاظ على الموارد الطبيعية وتجنب الإسراف، إذ قال: "**اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.**"

2. مفهوم "الإعمار" في مصادر الفقه الشيعي: بناءً على قوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[61]، يركز الفقه الشيعي على ضرورة تسخير الموارد الطبيعية بما يحقق النفع دون إضرار.

3. واجب العدل مع البيئة: استنادًا إلى مبدأ العدالة في الإسلام، يعتبر الإضرار بالبيئة ظلمًا، سواء كان تلوث الهواء أو المياه أو استنزاف الموارد.

الواجبات تجاه البيئة

1. تجنب الإفساد والتلوث: المسلمون مكلفون بعدم تلويث البيئة بأي شكل من الأشكال.
2. إعادة التوازن البيئي: العمل على إصلاح ما أفسده الإنسان في الطبيعة، كما جاء في القرآن الكريم.
3. ترشيد الاستهلاك: يُنظر إلى الإسراف على أنه إساءة استخدام الموارد الطبيعية، مما يهدد استدامتها.

هذه الحقوق والواجبات تؤكد على العلاقة الوثيقة بين العقيدة الإسلامية والمسؤولية اتجاه البيئة، ما يُبرز شمولية الإسلام في تناول قضايا البيئة.

الاستنتاجات والتوصيات

بعد إمعان النظر وتحليل دقيق لأحكام الفقه الإمامي المتعلقة بحماية البيئة، اتضحت لنا استنتاجات جوهرية تستند إلى ضرورة التمسك بمبادئ الزراعة ، والصيد المشروع، والاقتصاد في الموارد، وتنقية المياه. يتوجب التركيز أيضًا على توصيات بارزة تشمل تعزيز التعاون بين الجهات الحكومية والمجتمع لتطبيق التشريعات البيئية، وزيادة الوعي بأهمية الحفاظ على البيئة، والعمل على تحقيق التوازن البيئي والاستدامة.

---

[1]– البقرة: 30.

[2]–الأعراف: 56.

[3]– المحدث النوري،حسين،(ت 1320 ه) مستدرك الوسائل ، ج3،ص150،ح 2،ب 4.

[4]–ص :28.

[5]– عبد الله، يوسف عبد الغفار، مفهوم التنمية المستدامة،الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية.

1.[6]– بريتانيكا، تعريف البيئة،2021 المراجع البيئية في موسوعة بريتانيكا: تعتبر موسوعة بريتانيكا البيئة عبارة عن "نظام من العوامل الطبيعية التي تحيط بالكائنات الحية وتؤثر فيها. تشمل البيئة جميع المكونات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية التي تساهم في دعم الحياة على كوكب الأرض".

2.[7]– الأمم المتحدة، برنامج البيئة (UNEP)، 2019.

[8]– منظمة الصحة العالمية، البيئة والصحة، 2020.

3. [9]– المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، التقرير السنوي 2020 تعريفات من المنظمة العالمية للأرصاد الجوية: تعرف المنظمة البيئة بأنها "مجموعة من الأنظمة المترابطة التي تشكل الأرض، بما في ذلك الهواء، والماء، والمحيطات، والتربة، والغلاف الجوي، والمناخ". وتُركِّز على تأثير التغيرات المناخية في التوازن البيئي.
4. [10]– الأمم المتحدة، "المستقبل الذي نريد"، الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2012 تقرير "المستقبل الذي نريد" للأمم المتحدة (2012): يُعد هذا التقرير مرجعًا أساسيًا في توضيح العلاقة بين التنمية المستدامة والبيئة. يدعو إلى اتخاذ إجراءات لحماية البيئة لضمان استدامة النظم البيئية التي يعتمد عليها البشر من أجل حياتهم وصحتهم.

5.[11]– التنمية المستدامة والبيئة"، 2021 البرنامج البيئي للأمم المتحدة (UNEP): يقدم هذا البرنامج تقارير ودراسات حول كيف يمكن أن تكون التنمية المستدامة أساسًا للحفاظ على البيئة، مثل استخدام الطاقات المتجددة وتقليل الانبعاثات الضارة.

6. [12]– التنمية المستدامة: سياسات من أجل المستقبل، 2020 منظمة "التعاون والتنمية الاقتصادية" (OECD): تنشر تقارير دورية تركز على دمج التنمية المستدامة في السياسات الاقتصادية، مع التركيز على دور البيئة في استدامة النمو الاقتصادي.

[13]– البقرة: 30.

[14]– ص: 26.

[15]–قراءتي، محسن،تفسير النور،بيروت| لبنان ،الطبعة الأولى،سنة 2014،ج8،ص79

[16]– الأعراف: 56، و58.

[17]–الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن،ج8،ص160.

[18]– الأعراف: 31.

[19]– الأنعام: 141.

[20]– الشيرازي، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج7 ،ص193.

[21]– الري شهري، محمد،ميزان الحكمة،دار الحديث ، قم ،طبعة منقحة مصححة، سنة1375 هـ ش، ج1،ص713.

[22]– السبحاني،جعفر، الإيضاحات السنية للقواعد الفقهية،(1394هـ ش)ص113.

[23]– العاملي،محمد بن الحسن، (ت 1104) وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة،دار احياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان،ج25،ص427.

[24]– البقرة : 29.

[25]– النحل: 14.

[26]– البقرة 11.

[27]– الشريف الرضي،محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، قم الناشر هجرت ،ط1 ، 1414هـ، ص 426–445.

[28]– الكليني، محمد، الكافي، ج5،ص260.

[29]– الحج:63.

[30]– عبس:25–32.

[31]– الري شهري، ميزان الحكمة،ج3 ص6921.

[32]– العاملي، وسائل الشيعة،ج1 ،ص324

[33]– الري شهري ،ميزان الحكمة،ج2ص713.

[34]– الكليني، الكافي، ج 5، ص 558.

[35]– الاسراء: 27.

[36]– القمي، علي،تفسير القمي، ج 2، ص 537.

[37]– الري شهري،ميزان الحكمة،ج2ص713.

[38]– الكليني، الكافي، ج 5، ص 315.

[39]– العاملي،وسائل الشيعة،ج19ص39.

[40]- الري شهري، ميزان الحكمة،ج2ص1410.

[41]- الجمعة: 10.

[42]- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ، ج 19، ص 36.

[43]- الكليني، الكافي، ج 2، ص 580.

[44]- الشيرازي،رسالة في فقه البيئة، مركز الدراسات الإسلامية، 2019.

[45]- كاشف الغطاء،عباس، الفقه السياسي، 2020.

[46]- اية الله السيستاني ،فتاوى اية الله السيد السيستاني، مكتب اية الله السيستاني 2021.

[47]- البقرة: 10.

[48]- الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج 1، ص 456

[49]- الكليني، الكافي، ، ج 5، ص 558.

[50]- الري شهري،ميزان الحكمة،ج2ص713.

[51]- الكليني ،الكافي، ، ج 5، ص 315.

[52]- الكليني ،الكافي، ج 5، ص 393

[53]- الإسراء: 27.

[54]- القمي، علي،تفسير القمي، ج 2، ص 537

[55]- الخميني ، روح الله، الفقه البيئي، رسالة الإمام الخميني، 1987.

[56]- الكليني، الكافي، ، ج 5، ص 453.

[57]- رسالة في فقه البيئة، مركز الدراسات الإسلامية، 2019.

[58]- الرحمن: 10.

[59]- الأعراف: 56.

[60]- هود: 61.

[61]- الجاثية: 13.

المصادر :

* القرآن الكريم

1-بريتانيكا، موسوعة بريتانيكا 2021

2- الأمم المتحدة، برنامج البيئة (UNEP)، .2019

3- منظمة الصحة العالمية، البيئة والصحة، .2020

4-المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، التقرير السنوي 2020

5-الأمم المتحدة، "المستقبل الذي نريد"، الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2012 تقرير "المستقبل الذي نريد" للأمم المتحدة 2012

6- التنمية المستدامة والبيئة"، 2021 البرنامج البيئي للأمم المتحدة (UNEP)
7- التنمية المستدامة: سياسات من أجل المستقبل، 2020 منظمة "التعاون والتنمية الاقتصادية" (OECD).
8- الشيرازي،ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الاعلمي،بيروت لبنان،الطبعة الأولى،سنة.2013
9- الطوسي،محمد بن الحسن(ت460ه) تهذيب الاحكام ، مؤسسة الاعلمي ،بيروت لبنان، الطبعة الأولى
10- الكليني،محمد بن يعقوب، الكافي،طهران ،1931ش.
11-القمي علي بن إبراهيم،تفسير القمي، جماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى.
12-قراءتي، محسن،تفسير النور،بيروت، لبنان ،الطبعة الأولى،سنة 2014.
13- الشيرازي،رسالة في فقه البيئة، مركز الدراسات الإسلامية، 2019.
14- كاشف الغطاء، عباس، الفقه السياسي، 2020.
15- اية الله السيستاني ،فتاوى اية الله السيد السيستاني، مكتب اية الله السيستاني 2021.
16-العاملي،محمد بن الحسن، (ت 1104) وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة،دار احياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان
17-السبحاني،جعفر، الإيضاحات السنية للقواعد الفقهية،(1394ه ش)
- 18- الطباطبائي،محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية،قم المقدسة
- 19- الخميني ، روح الله، الفقه البيئي، رسالة الإمام الخميني، 1987.
- 20- الري شهري، محمد،ميزان الحكمة،دار الحديث ، قم ،طبعة منقحة مصححة، سنة1375 ه ش.
- 21-الشريف الرضي،محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، قم الناشر هجرت ،ط1 ، 1414ه.